

## دور الجغرافية في تنمية الواقع التعليمي في العراق

أ.د. خلود علي هادي

جامعة ديالى - كلية التربية للعلوم الانسانية

(٠٧٧٠٤٧٥٤٨٨٥)

م.م. حسين رحيم حسون الشمري

المديرية العامة للتربية في بابل

[huseinalshammari258@gmail.com](mailto:huseinalshammari258@gmail.com)

(٠٧٧٣١٤٨٣٥٦٧)

### المستخلص

إن الدراسات الجغرافية ولا سيما البشرية منها أسهمت في كثير من الاحيان تشخيص المشكلات التي تعاني منها المجتمعات ولا سيما بعد النمو السكاني واتساع حجم التطور العمراني ، وقد حاولت بعض الشعوب بالاستعانة ببعض التجارب والبحوث الجغرافية لتنمية وتطوير ما لديها من خدمات بشكل مستدام ، ومن بين أهم الخدمات التي كثيرا ما تستعملها هذه المجتمعات ولا سيما المتطورة منها بشكل كبير هي الخدمات التي تعني بالواقع التعليمي (الخدمات التعليمية) التي تدخل ضمن جغرافية المدن، التي هي احد فروع الجغرافية البشرية إذ أصبحت ضرورة ملحة بل باتت تنميتها والاهتمام بها من تقدم الشعوب وتطورها، وذلك في سبيل تحقيق الاهداف التنموية من جهة ، وحماية البيئة بما تحويه من خدمات تعليمية وما تضم من مشكلات ومعوقات من جهة أخرى ، وقد تضافرت الجهود العلمية الجغرافية في تحديد هذه المشكلات ومحاولة تشخيصها وسبل معالجتها بالآليات المتاحة في سبيل تنميتها وزيادة كفاءتها من الجهات ذات العلاقة . ونحن سنتطرق في هذا البحث دور الجغرافية والباحث الجغرافي وبما يقدم من دراسات من أجل تحسين الواقع التعليمي في العراق في سبيل معالجة احدى المشكلات العراقية المعاصرة ليتسنى لنا تشخيص دور الجغرافية في تنمية المجتمع العراقي، إذ اشتمل هذا البحث ثلاثة محاور جاء الأول ليتطرق إلى مفهوم علم الجغرافية وعلاقته بالتنمية ، أما المحور الثاني فقد تناولنا فيه العلاقة بين الجغرافية والتعليم، في حين جاء المحور الثالث ليقف على الآفاق المستقبلية لتنمية التعليم في العراق، واختتم البحث بنتائج ومقترحات.

**مشكلة الدراسة:** تتلخص مشكلة الدراسة بما يأتي :

- ١- هل لعلم الجغرافية دور في تنمية الواقع التعليمي؟
  - ٢- كيف يمكن تنمية الواقع التعليمي في العراق بشكل مستدام في ظل البحوث والدراسات الجغرافية العلمية الحديثة؟
  - ٣- ما الآفاق المستقبلية لتنمية التعليم في العراق؟
- فرضية الدراسة:** تتلخص فرضية الدراسة بما يأتي :

١- ان لعلم الجغرافية دور كبير في تنمية الواقع التعليمي كون علم الجغرافية يهتم بدراسة العلوم الانسانية.

٢- الدراسات الجغرافية أسهمت في الكشف عن المشكلات والمعوقات التي يعاني منها التعليم ومن ثم فرض الحلول المناسبة لها ليتسنى للجهات المعنية حلها بأقل الجهد والوقت وذلك لتنميته هذا القطاع الخدمي المقدم للسكان.

٣- ان الأفاق المستقبلية لتنمية التعليم يكمن في تطوير مؤسساته بما ينسجم مع التطور العلمي والتكنولوجي وما تحويه هذه المؤسسات من أبنية ووسائل تعليمية وتطوير المناهج لكل المراحل بما ينسجم مع ذهنية التلميذ أو الطالب في سبيل رفع كفاءتها وتنميتها بالشكل المطلوب.

**منهجية الدراسة:** أعتمد الباحثان في دراستهما على المنهج الوصفي والتحليلي.  
**أهداف الدراسة:**

- ١- إظهار أهمية الدراسات الجغرافية في تطوير وتنمية الخدمات التعليمية.
- ٢- التعرف على المعلومات الجغرافية التي بواسطتها التعرف على أفضل وأنسب التوزيعات لخدمات التعليم من أجل كفايته بشكل يحقق رضا السكان.
- ٣- الوقوف على كيفية تنمية واستدامة الواقع التعليمي في العراق حاضرا ومستقبلا.
- ٤- التعرف على العلاقة بين علم الجغرافية والتعليم.
- ٥- وضع أهم التوصيات للجهات ذات العلاقة من أجل تطوير الواقع التعليمي في العراق.

**المحور الأول : مفهوم علم الجغرافية وعلاقتها بالتنمية**

**أ- مفهوم علم الجغرافية والتنمية**

علم الجغرافية Geography هو حقل مختص بدراسة الأرض والسكان والظواهر الطبيعية الموجودة على الأرض وتعني حرفيا (وصف الأرض) (سمير ، ٢٠١٣ ، ص ٥-٦) وقد عرفها بعض الباحثين بأنها العلم الذي يهتم بدراسة العلاقات المكانية والزمانية . وقيل أول من استخدم هذا المصطلح هو اليوناني راتوستينيس واعتمد في وصفه على قواعد أولها دراسة المناطق وأخرى دراسة علاقة الأرض بالإنسان وأخرى البحث في علوم الأرض (عبد المنعم ، ٢٠١٣ ، ص ٢٠).

اما مفهوم التنمية development :- فعلى الرغم من تعدد مفاهيم التنمية بأشكالها المختلفة أنها تصب في مصب واحد وهي تقدم خدمة اي مجتمع بأقصى قدر مستطاع فقد تناولت هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٥٦ نصت على " ان التنمية هي العمليات التي بمقتضاها توجه الجهود لكل من الأهالي والحكومة بتحسين الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المجتمعات المحلية بمساعدتها على الاندماج في حياه الأمم والإسهام في تقدمها بأفضل ما يمكن (تقرير

(٢٠١٥) " اما في الوقت الحاضر فالتنمية تعني عملية تغيير لمرفق عام أو نشاط خدمي يتم التخطيط له بهدف زيادته ورفعته إلى مستوى أعلى بهدف خدمه الإنسان وتحقيق آماله وغاياته، بيد ان التنمية بأشكالها المختلفة تُعد الوسيلة المثلى لتحقيق السعادة والرفاه الاجتماعي للمجتمع.

**ب- علاقة علم الجغرافية بالتنمية**

يرى اغلب الجغرافيين ان التنمية تعني استغلال موارد إقليم ما بأفضل السبل من اجل تحقيق رفاهية سكانه (رفيق محمد ، ٢٠٠٦ ، ص٤).

عن طريق مفهوم الجغرافية بانها علم التباين المكاني فان معرفة التباين للمؤشرات التنموية وأنماطها وتوزيعها الجغرافي وتطورها الزمني والعلاقات التي تحكمها تدخل في صميم عمل الجغرافي ولاسيما في مجال التنمية البشرية، فثمة علاقة وثيقة بين الجغرافية والتنمية بأنماطها المختلفة، فدراسة الأبعاد المكانية لأي ظاهرة تشكل هذه الدراسة مادة خصبة لمفهوم التنمية باعتبار ان علم التوزيعات من المفاهيم الجغرافية العامة والتي لا يمكن للجغرافي ان يتخطاها لما لها من أهمية في تحديد الكثير من المجالات إذ يشمل توفير الأسس المادية للتنمية وتحديد احتياجاتها ، فالجغرافية بحكم مجالات بحثها ومنهجها واتساع نطاق دراستها لها القدرة على معرفة احتياجاتها الأقاليم والمرتكزات الرئيسية للتنمية من موارد طبيعية وبشرية وذلك لان علم الجغرافية يرتكز على جملة من الوسائل والأدوات الرياضية والأذهان والتقنيات الحديثة كنظم المعلومات الجغرافية والاستشعار عن بعد وجهاز تحديد المواقع GPS وذلك للوصول إلى نتائج حديثة ودقيقة ، ومن ثم تحديد المشكلات ومحاولة الحد منها وتوضيح مناطق الفقر التنموي ومناطق التركيز التنموي ومحاولة نقل التنمية إلى مناطق تناقصها بهدف الوصول إلى العدالة التنموية، لذا تبرز الجغرافية كعلم له دوره الفعال في ابراز مؤشر التنمية وحالاتها في اي اقليم وما يمتلك من مقومات بقصد توفير احتياجات سكان ذلك الاقليم وتحسين مستوياته في مجالات شتى (حسين عليوي ، ٢٠١٠ ، ص١٩).

### ج- تنمية التعليم من منظور جغرافي

بما ان اغلب فئات المجتمع تدخل ضمن قطاع التعليم التي تشمل السكان من هم في سن (٦-٢٦)<sup>(\*)</sup> سنة ، لذا فإن من الضروري تنمية الواقع التعليمي وتطوره بصورة ترفع من كفاءته وقد ظهر مصطلح جغرافي حديث ضمن الجغرافية البشرية وهو (التنمية المستدامة) والتي هي نمط من انماط التنمية تسعى إلى تحقيق التوازن بين النظام البيئي والاجتماعي والاقتصادي لتحقيق أقصى قدر من النمو والارتقاء (عبد الله ، ٢٠٠٧ ، ص٢).

(\*) ينسل هذه الفئة التعليم الابتدائي ( ٦ - ١١ ) سنة ، التعليم الثانوي ( ١١ - ٧ ) التعليم الجامعي ( الاولى العليا) ( ١٧ - ٢٦ ) سنة .

من مرتكزات هذا النمط من التنمية هو مرتكز النظام الاجتماعي والذي يعتمد على مؤسسات المجتمع المدني للإنتاج والخدمات على حد سواء فضلا عن النظام الإداري المتطور لذا فهناك ثمة معايير للدلالة على مفهوم التنمية البشرية من ضمنها التركيز على (تنمية التعليم) باعتباره أساس تقدم الشعوب وتنميته وتعد بمنزلة الخلاص من التراجع الحضاري وكما يساعد على زيادة في خلق فرص العمل والاستجابة للتطورات المسجدة حاضرا ومستقبلا ، (ينظر الشكل (١) . ومن ثم فاذا اردنا اصلاح القطاع التعليمي عن طريق الدراسات الجغرافية فلا بد من العمل على تحديد المشكلات التي تهدد النهوض بالتعليم وتنميته من حيث عدد المؤسسات التعليمية ومدى استيعابها للتلاميذ أو الطلبة ودراسة المواقع المدرسية والمؤسساتية من حيث صلاحيتها للاستخدام وموقعها الافضل ومن ثم تطبيقها على ارض الواقع كلها عوامل من شأنها ان تسهم في البناء التعليمي وتنميته . وبما ان التنمية المستدامة تنطلق إلى محاور البيئة والحياة والتنمية الريفية والاستهلاك والتفاهم بين الثقافات ونشرها والتغيرات المناخية واثارها في تنمية الاقتصاد الوطني كلها عوامل جغرافية لها صلة مباشرة أو غير مباشرة تجعل من الجغرافية والجغرافيين وسائل وادوات فاعلة في عملية التنمية المستدامة للواقع التعليمي والمساهمة في تحقيق اهدافه (عبد الحليم ، ٢٠٠٢ ، ص٦).

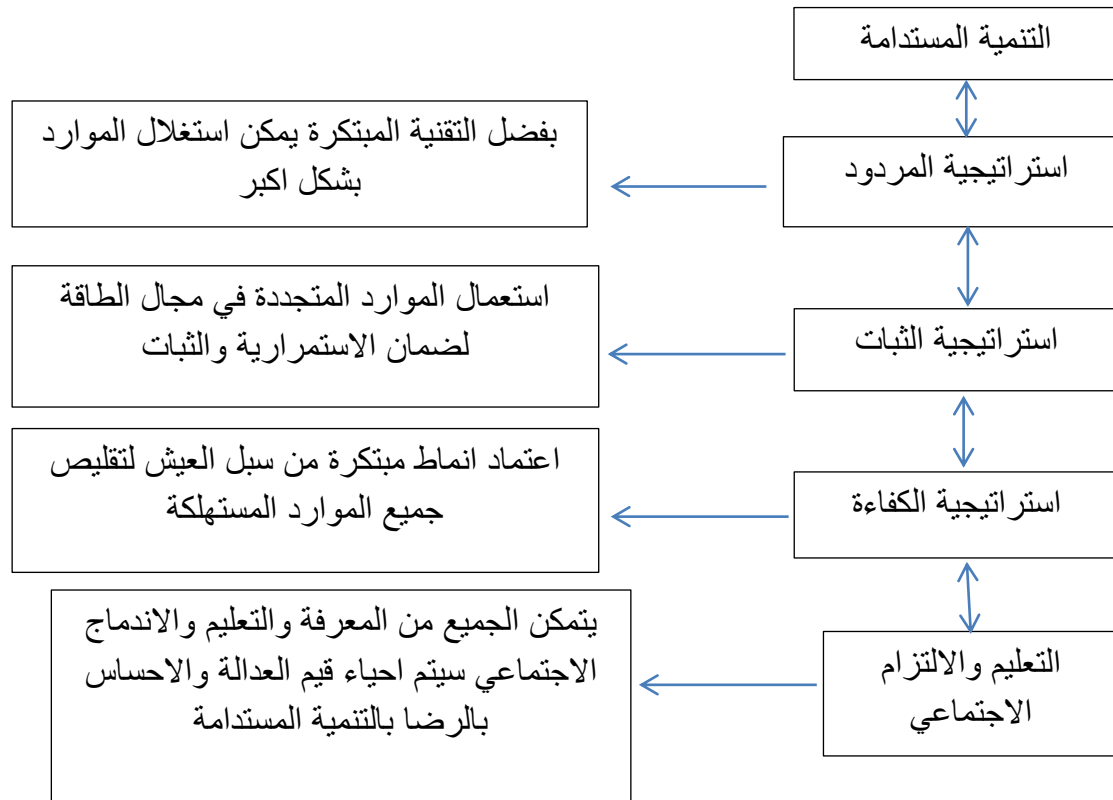
### الشكل رقم (١) أبعاد تنمية الواقع التعليمي



المصدر: من عمل الباحثان بالاعتماد على تقرير خطة التنمية البشرية (التنمية في كل مكان) من برنامج الامم المتحدة الانمائي لسنة ٢٠١٦م

من هنا لأبد من ان يكون المشرعون والمخططون في مجال العلم متمكنين من الفهم الجغرافي الصحيح للمنظومات الطبيعية الرئيسة للأرض، وذلك لفهم التفاعلات داخل المنظومات وفيما بينها كما عليهم فهم المنظومات الاقتصادية والاجتماعية بهذا الفهم ستكون محتويات التعليم التي يقررونها فعالة وستمكن التلامذة أو الطلاب من امتلاك المعارف والأدوات التي تؤهلهم لفهم العالم عن طريق الموقع وعن طريق التوزيع والمسافة والحركة والتفاعل زمانيا ومكانيا . ولفهم التنمية المستدامة في المجتمعات على اختلاف مواقعها واختلافاتها لا بد من وضع معايير ثابتة تخدم الأهداف الكلية والجزئية إذا يفترض بالبرامج التعليمية تنشيط تلك المفاهيم والأهداف وترسيخ مبدأ ان التنمية المستدامة تعني استهلاكاً للموارد بسرعة أقل من سرعة تجديدها لكي يتم الاحتفاظ بها لأجيال قادمة، ولتحقيق تلك الأهداف وصياغة المعايير اقترح إعلان لوسيرن استراتيجيات محددة لقيام تنمية مستدامة استعرضها الباحث لتوضيح كفاءة الجغرافية في مجال التنمية المستدامة في حقل التربية والتعليم، (ينظر الشكل ٢) (عبد الحليم ، ٢٠٠٢ ، ص ٨)

الشكل (٢) الاستراتيجيات الرئيسة لقيام التنمية المستدامة في حقل التربية والتعليم



المصدر: من عمل الباحثان استنادا إلى

Rein fried,S.,Schleicher,y.&Rempfler ,A.(Editors)-2

## المحور الثاني : العلاقة بين الجغرافية والتعليم

### أ- صلة الجغرافية بالواقع التعليمي

لاشك ان الجغرافية لها الدور المميز في دراسة نشاطات الإنسان وعلاقته بالبيئة المحلية ، فعمليات التحليل المكاني ترتبط بنمط تحديد موقع البيانات سواء كانت الخطية منها أو المساحية أو النقطية (Michael , 2003 , p.21) لهذا باتت الخدمات وقطاعاتها المتنوعة تقع في صميم عمل الجغرافية ولاسيما جغرافية المدن بالدرجة الأساس وذلك في فهم واستيعاب متطلبات حاجة المجتمعات البشرية وذلك بتحليل العلاقات الناتجة عنه وتوظيفها في خدمة المنتج والمستهلك للخدمة وصولاً إلى مبدأ التنظيم المكاني لقطاعات الخدمات وتحسين نوعية توزيعها (محسن ، ٢٠٠٩ ، ص٢٦) .

ان من أهم الخدمات التي اولت جغرافية المدن احتياجاتها هي خدمة التعليم لما لها من أهمية كبيرة في تنمية المجتمعات وتقديمهم على الصعيد العلمي والحضاري فظهرت جغرافية الخدمات بان تصل بخدمات المدينة ووظائفها إلى حقل التخصص العلمي الدقيق مستندا إلى طرائق بحث الجغرافية ووسائلها ليتحقق تركيب الجغرافية البشرية وتحديد الاجتماعي منها فظهرت الخدمات التعليمية من جغرافية الخدمات لتتجه بدراسة المؤسسات التعليمية وتوزيعها البيئي والمكاني ودراسة بعض المؤشرات الخدمية التي لها صلة مباشرة بخدمات التعليم، (ينظر الشكل ٣) .

فالتعليم يعد من اهم الموضوعات التي جذبت أنظار الجغرافيين في الوقت الحالي وذلك في توزيع المؤسسات التعليمية وبحسب مستوياتها البيئية ومدى كفاءها وتوزيعها وكثافة السكان وتصنيف مؤسسات الخدمات التعليمية ووضع بعض المعايير (المؤشرات) التخطيطية لتنظيم هذه الخدمات والمساهمة في تحديد مشكلاتها ومعوقاتها بالشكل الذي يساعد على إيجاد الحلول المناسبة لها ومن ثم تطويرها بشكل يمنح المستعمل شعورا بالرضا والاطمئنان عن الخدمة المقدمة إليه وهو ما يعرف بـ(كفاءة الخدمات التعليمية) (Education seruces Efficiency) (مازن ، ٢٠١٢ ، ص٩٥)

الشكل رقم (٣) سلسله ارتباط الجغرافية بالتعليم



المصدر: من عمل الباحثان.

ب- أهم الدراسات الجغرافية التي أسهمت في تنمية الواقع التعليمي في العراق

نظرا لأهمية الواقع التعليمي في تطوير المجتمعات لذا حظيت قطاعاته باهتمام كبير من قبل الجغرافيين والمخططين له وكل واحد من زاوية ذات علاقة تهمة ، وهي الدراسات الجغرافية الخاصة بالواقع التعليمي أو الخدمات التعليمية من جهة التطور التاريخي لهذه الخدمات منها:

١- التطور الكمي لمؤسسات الخدمات التعليمية من حيث أعدادها وأعداد المعلمين في المراحل كافة الدراسية ومدى استيعاب هذه الأعداد لتلك المؤسسات ولاسيما الفعلية لهم في الحاضر والمستقبل

فإذا ما حدث تراجع في تلك المؤسسات فتكون لذلك اثار سلبية فتؤثر في كفاءة وكفاية الخدمات التعليمية وعدم مواكبتها لعملية النمو السكاني والعمراني في منطقة الدراسة (خلف ، ٢٠٠٩ ، ص ١٠٦) ان التطور الذي ينبغي ان يحصل في المؤسسات التعليمية بين مدة وأخرى يجب ان يكون بصورة هرمية متسلسلة ومنظمة من القاعدة إلى القمة ففي المرحلة الأساسية (التعليم الابتدائي) تكون الحاجة إلى المدارس أكثر من غيرها لالتحاق أعداد كبيرة من التلاميذ إليها سنويا اما المدارس الثانوية فتكون الحاجة إليها اقل اما في خصوص الكثافة السكانية فتحتاج إلى مدارس أكثر من غيرها فتدخل هذه الإحصائيات ضمن الدراسات الجغرافية ولاسيما البشرية منها فيما يتعلق بحجم السكان يقابله عدد المؤسسات التي تتناسبه وبحسب المعايير الموضوعية المؤسسات من المختصين ، وان أي خلل يحدث في مرحلة ما سيخلق إرباك لما قبله وما بعده. وهناك جملة من الدراسات الجغرافية في العراق اعتنت بهذا الجانب في دراسة الخدمات التعليمية فمنذ بداية عقد السبعينات ألفت الكتب والرسائل والاطاريح لرفع من كفاءة وكفاءة الواقع التعليمي في العراق ومن بين اولى الدراسات التي كتبت في هذا الجانب ، أطروحة

الأستاذ الدكتور صالح فليح حسن الهيتي في جامعة بغداد والتي تحت عنوان (جغرافية التعليم الابتدائي في العراق) ولأهمية هذا الموضوع فضلا عن اتسام الأطروحة بالموضوعية والعلمية آنذاك فقد نشرت بكتاب رسمي إذ تناولت الدراسة مواقع المدارس الابتدائية في العراق على مستوى الوحدات الإدارية وبيان انتشارها بين الحضر والريف للفترة (١٩٦٠-١٩٧٣) وهو موضوع مختص بالجغرافية البشرية ومن الدراسات الأولى التي اهتمت بهذا الجانب أيضا دراسة عبد الإله ناصر تحت عنوان (الوظيفة التعليمية للجانب الغربي لمدينة بغداد الكبرى) وهي رسالة ماجستير من كلية الآداب من جامعة بغداد عام ١٩٨١ ، ثم توالى الدراسات الجغرافية بعد ذلك تارة لتبحث تارة عن الكفاءة وتقييمها بتحليل مكاني جغرافي وتارة لتكشف عن مواطن الخلل في المنطقة المدروسة ووضع المقترحات لمعالجة مشكلات واقعا التعليمي (خلف ، ٢٠٠٩ ، ص ١٠٦) ، والمشكلة التي تكمن بل المؤسف له ان اغلب هذه الدراسات لم تطبق على ارض الواقع من الجهات المعنية ولاسيما في وقتنا الحاضر وذلك لقله الدعم الحكومي لهذا القطاع الحيوي فضلا عن ازدياد اعداد السكان والتطور العمراني الذي شهده العراق ما بعد الغزو الامريكي عام ٢٠٠٣م، فضلا عن الفساد المالي والاداري من الاحزاب التي حكمت العراق بعد هذه المدة (صالح ، ١٩٧٧ ، ص ٥١)

٢- التطور النوعي : ان نوعية التعليم يعني استجابة افضل لاحتياجات المجتمع وهذا من متطلبات التنمية المستدامة وللحاق بمستويات البلدان ذات الاداء العالي في الميدان التربوي والارتقاء بقدرات العيش التعليمية والتدريسية ولما بينها باعتماد التدريب للجميع في اثناء الخدمة (باسمة ، ٢٠٠٩ ، ص ١٤٩) .

من هنا يجب التأكد على التطور النوعي التعليمي اكثر من الكمي ، فلا بد من توافر المستوى التعليمي المطلوب الذي من شأنه ان يسهم في رفع قدرات وقابليات الفرد المتعلم على التعلم والتعليم عن طريق توفير المناهج والتقنيات من الاجهزة والآلات المختلفة التي تحققت الغرض المطلوب (خلف ، ٢٠٠٩ ، ص ١٠٦) ، وعلى الرغم من ان الجغرافية تتناول الدراسات السكانية كونها تبين مواضع وجود الظاهرة موضوع البحث الا ان هذه الدراسات لا تخدم التطور النوعي لخدمات التعليم بصورة مباشرة لان دراسة التطور النوعي تتكفل بدراستها الدراسات التربوية والنفسية والدراسات التي تهتم ببحث الوسائل والطرائق المتقدمة فيتمية نوعية التعليم.

### ٣- اهم الوسائل الجغرافية المستعملة في تطوير تنمية الواقع التعليمي في العراق

ان من اهم الخدمات الاجتماعية التي تسهم بشكل كبير في تطور عناصر التنمية البشرية هي خدمات التعليم (رياض ، ٢٠٠٧ ، ص ٢١٨) لذا لا بد من الاعتناء بها وتوفير الوسائل والادوات للتخطيط لها لتنميتها بما ينسجم وخدمة المجتمع في الحاضر والمستقبل .



لقد عنت الكثير من الدراسات الجغرافية في سبيل تنمية الواقع التعليمي في العراق وذلك باستعمال التقنيات الحديثة والمتاحة من اجل رصانة البحوث التي تقدم في سبيل تطوير هذه الخدمات والكشف عن المشكلات والتحديات التي تواجهها ، وبعد ان شهد العالم تطور هائل في المجال التكنولوجي واستعمال هذه التكنولوجيا في مجالات الحياة المختلفة ودخلت في مجال التربية والتعليم بشكل واسع استعملت تلك الوسائل في تنمية الواقع التعليمي في العراق فمن بين التقنيات الحديثة التي استعملت كوسيلة لتنمية الواقع التعليمي عن طريق البحوث والدراسات هي تقنية نظم المعلومات الجغرافية (GIS) وذلك باستعمالها في رسم الخرائط وتحديد مواقع المؤسسات التعليمية عليها وتحليل أنماط توزيعها الجغرافي كتحليل المركز الفعلي والمسافة المعيارية ونطاق تأثير الخدمة وتقنية صلة الجوار واتجاه توزيعها وغيرها من المواضيع التي ساهمت هذه التقنيات في تحليلها وإظهار أهم النتائج في استخدامها في تحديد مواقع المؤسسات التعليمية وكذلك تحديد مناطق خدمة التعليم وتحقيق اقصر الطرق المؤدية لهذه المؤسسات فضلا عن جمع بيانات كمية ووصفية عن هذه المؤسسات لاتخاذ القرارات المتباينة لتطوير تلك المؤسسات (فؤاد ، ٢٠١٥ ، ص١٢٥) ، ومن أهم تلك الوسائل والبرمجيات هي (برامج الرزم الاحصائية Aeosps ، برنامج ARCGIS ، برنامج Mapinfo) فضلا من تقنيات الاستشعار عن بعد (التصوير الجوي) وجهاز تحديد المواقع GPS كلها تقنيات استعملت كوسائل لتحديد البحوث العلمية التي عالجت المشكلات التي عانى ويعانى منها الواقع التعليمي في العراق لان من أهم مميزات هذه التقنيات أنها قادرة على إجراء التحليلات المعقدة في مدة زمنية قصيرة تستغرق بضع ثوان نظرا لما تمتلكه من أدوات قوية لاستكشاف المعالم الجغرافية المختلفة (ثيموني ، ٢٠١٤ ، ص١٢٠) ومن ثم تصب خدمة هذه الأبحاث وما تستعمله من وسائل وتقنيات متطورة على دراسة قطاع خدمات التعليم ودرجة أهميتها وطرائق إنتاجها وتصديرها وصورة توزيعها المكاني ومدى خدمتها للمستقرات الحضرية والريفية وتوجيهها للمجتمع بوصفهم المستفيد الأول والأخير منها (محسن و رياض ، ٢٠٠٩ ، ص ٢٩).

### المحور الثالث : الافاق المستقبلية لتنمية التعليم في العراق

#### أولاً : واقع التعليم في العراق

لا شك ان تطوير الخدمات التعليمية دليلا ومؤشرا أو تعبيراً حقيقياً على تقدم اي مجتمع مع شرط ان تتوفر هذه الخدمات بكفاءة وكفاية مناسبة مع حجم المدن والمراكز العمرانية ونوعية وطبيعة السكان ومستوياتهم المعيشية والإفادة منها بأقصى قدر ممكن مع كلف منخفضة ومناسبة تستطيع السكان تحملها دون شكوى وتذمر لتكون في النهاية دليلا على تطور هذه المراكز ونموها الثقافي والحضاري (مازن ، ٢٠١٢ ، ص٤٥)

لذلك فإن الشعوب المتطورة تهتم بعملية التعليم والتعلم بما يتناسب مع مستوى تقدمها وتطورها، وفيما يتعلق بمستوى التعليم في العراق فقد استت اولى المدارس فيه منذ الحكم العثماني التي لم تول للتعليم اهتماما يذكر الا في اواخر عهدها ، فقد استت اول مدرسة في عام ١٨٦١ في الموصل ومن ثم في بغداد ١٨٧٠ في عهد الوالي مدحت باشا (صالح ، ١٩٧٧ ، ص ٥١) ، ثم ازداد تأسيس المدارس خلال مناشدات القبائل آنذاك بعد شعورهم بأهمية التعلم ولاسيما المدارس الدينية لتعليم ابنائهم العلوم والمعارف فبلغت المدارس الابتدائية في الفترة العثمانية قرابة (١٦٠) مدرسة ونحو (٤) مدارس ثانوية و (٣) دار للمعلمين ومدرسة صناعية واحدة ومدارس واحدة عالية (كلية حقوق) ، اما الطلاب فبلغ ولكل المراحل (٨٢٥٠) طالب وعدد المعلمين نحو (٣٨٢) معلما. اما في مدة الانتداب البريطاني (١٩١٤-١٩١٧) وما بعدها من سنة ١٩٢٣ فقد بلغت وبحسب الاحصائيات والتقارير الصادرة من حالة المعارف في العراق آنذاك عن وجود اكثر من (٩٥٠) ابتدائية و (٣٥) ثانوية و(٢٩٧) مؤسسة تابعة للتعليم بواقع (٧٣٩٦) طالب و (٦٢٠) معلم، وبعد ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ كانت باكورة الاهتمام بالتعليم العالي فتم تأسيس جامعة بغداد و ثم بعدها جامعه الموصل والبصرة فضلا عن انتشار مراكز محو الامية في طول البلاد وعرضها وبناء المئات من المدارس ومعاهد المعلمين وظل الوضع هكذا الى فترة ١٧ تموز سنة ١٩٦٨ إذ استلم زمام الحكم حزب البعث فعند توليه الحكم وقعت الحروب والصراعات السياسية وما حدث للبلد من متاعب في مجالات الحياة كافة ومن أهمها التعليم فإن استنزاف الإمكانيات والقدرات والكفاءات عن طريق زج اغلب المعلمين والمدرسين واصحاب الشهادات العليا إلى معسكرات مما سبب ارباك في العملية التعليمية فضلا عن التحاق اغلب أولياء الطلبة وترك أبنائهم من دون عناية فضلا عن سنوات الحصار التي انهكت المواطن العراقي اقتصاديا مما جعل ظاهرة التسرب مستشرية في اغلب المدارس ولاسيما في المدارس الثانوية وبعد هذا التدني في مستوى التعليم وللمراحل كافة خلال مدة استمرت اكثر من عقدين من عهد حكم البعث استبشر العراقيون خيرا عندما حدث تغييرا بعد سنة (٢٠٠٣م) الا ان الحكومات التي جاءت بعد هذا التغيير سرعان ما كانت مخيبة للأمال في وجود الصراع الغير خلاق نتج عنه صراع مرير في المشهد السياسي الذي تمثله الاحزاب السياسية المتصارعة على الحكم فضلا عن الفساد المالي والاداري واشغال المناصب بأيادي غير كفؤة بل على حساب التحزب والمحاصصة، لذلك شهد التعليم في هذه المدة اخفاقا كبيرا في مراحلها كافة في معاناة منها قلة الأبنية المدرسية ما تسبب من ازدحام في المدارس وازدواجها وزيادة عدد الطلاب في الصف الواحد وعدم الاهتمام بالمناهج وصياغتها بشكل يتناسب مع ذهنية المتعلمين والعملية التربوية وعدم الارتقاء بطرائق التعليم الحديثة وعدم استعمال التكنولوجيا في التعليم فضلا عن انتشار المدارس الاهلية والجامعات التي باتت مفضلة على المدارس أو الجامعات الحكومية لما

تمتاز من كفاءة من حيث اعداد الطلبة وتوافر المستلزمات كافة التي يحتاجها التلميذ أو الطالب كلها عوامل ساعدت على أن يكون التعليم في العراق بمراحله كافة غير مرضي ويشكو من الاهمال وعدم الاهتمام الكافي به .

**ثانياً: مستقبل التعليم في العراق وكيفية استدامته.**

بما ان المجتمع يسهم في التدهور البيئي والانحسار السريع للتنوع البيولوجي وتغير المناخ ، لذا فإن من اللازم علياً ان يقدم الحلول لتدارك المشكلات والتحديات التي كان له يد في نشأتها (ثيموني ، ٢٠١٤ ، ص ١٩٠) ، وباستطاعة التعليم ان يقوم بدوره الرئيس في التحول المطلوب إلى مجتمعات اكثر استدامة من الناحية البيئية والاجتماعية ، وذلك بالتنسيق مع المبادرات الحكومية وتحريك المجتمعات المدنية والقطاع الخاص لان التعليم يصوغ وجهات النظر كما انه يسهم في تطوير وتنمية المهارات والمفاهيم والادوات التي يمكن ان تستعمل في خفض أو إيقاف الممارسات غير المستدامة. ولا ينحصر دور التعليم في مجال الاستدامة في الجانب الايجابي فقط وانما يمكن ان يعزز ممارسات غير مستدامة وذلك للاستهلاك المفرط للموارد والإسراع في تآكل معارف السكان الاصليين وطرائق معيشتهم ذات الاستدامة النسبية ، لذا فقد يتطلب الأمر تكييف التعليم وتحويله لضمان تأثيره الايجابي في الحاضر والمستقبل.

ويعكس واقع التعليم في العراق حالياً أنظمة التعليم التي كانت سائدة في القرون الوسطى في الدول المتقدمة ، فالفجوة قائمة وكبيرة ومتفاقمة مع أنظمة التعليم في الدول المتقدمة ، لذا فلا بد من اعتماد بيانات واستراتيجيات وأساليب جديدة تواكب العملية التربوية برمتها ، ومن ثم لا بد من أحداث تغييرات هيكلية لنظام التعليم في العراق بحيث يعتمد المعدات والمواهب وتجارب اختبارات الذكاء عند انخراط المتعلمين في التخصصات اللاتقليدية المختلفة التي تتساب مخرجاتها الي سوق العمل وليس إلى جحافل العاطلين ، اذا ما علينا إلا السعي لإيجاد البحث عن تجارب الأمم التي سبقتنا في هذا المجال ولتكن دول متقدمة (محمد أزهري ، ٢٠١٥ ، ص ١٢٨) . ولكي تحقق عناصر التنمية المستدامة للتعليم بمراحله كافة في العراق لا بد من الاعتماد أولاً على اساسيات الدولة وذلك بالاهتمام أولاً بضرورة الاعتناء بالمجتمع التعليمي في محاولة منها لاجتثاث الفقر وتقليل نسبة البطالة ورفع الغبن في ارتفاع دخل الأسرة مما له أثرا ايجابي في تنمية أو استدامة الجانب التعليمي في العراق . ولعل مشكلات البطالة والفراغ وكيفيات اكتساب المعرفة والوصول إلى مستوى معيشي لائق والعيش حياة طويلة وصحية وهي من أهم المشكلات على الإطلاق التي تواجه تنمية التعليم ليس على مستوى العراق فقط وانما على مستوى جميع البلدان ولاسيما النامية منها (قادري ، ٢٠٠١ ، ص ٨١) .

اما على مستوى كفاءة وكفاية الخدمات فلا بد أن تحظى باهتمام كبير من الدولة وذلك من ناحية حجم المؤسسات التعليمية وانسجامها مع أعداد المتعلمين في المراحل كافة حيث نجد

ان اغلب المؤسسات التعليمية في العراق لا تكفي وحجم التلاميذ المتزايدون كل سنة فضلا عن الموجودين لذلك يعد تخطيط خدمات التعليم ملحة لتنمية التعليم واستدامته في العراق، وقد وضعت المديرية العامة للتخطيط التربوي في وزارة التربية، تقرير خطة التنمية التربوية للأعوام (١٩٩٥-٢٠٠٦م) لوضع معايير من اجل تحقيق اهداف التعليم بالصيغ المقبولة والممكنة، (ينظر الجدول ١) .

ومن أهم هذه المعايير معيار تلميذ/مدرسة ومعيار تلميذ/شعبة ومعيار تلميذ / معلم وهذه المعايير يجب ان تطبق على المؤسسات التعليمية لتكشف عن كفاية أو كفاءة هذه المؤسسات ومدى خدمتها للسكان بالشكل المطلوب. اما فيما يتعلق بمعايير توقيت المدارس فتكون لها أهميتها عند استعمالها بالشكل الصحيح فمعيار عدد السكان يحدد المؤسسات المقترض انشاءها في المنطقة التي يبلغ عدد سكانها الحد المقرر لبناء عدد المؤسسات فمثلا حددت وزارة التربية ان كل (٢٥٠٠) نسمة يحتاجون إلى مدرسة ابتدائية واحدة وكل مدرسة تستقطب ما يقارب (٣٧٧) تلميذاً وان عدد التلاميذ في الشعبة نحو (٣٠) تلميذاً وهكذا بالنسبة لمعايير النسبة المئوية للداخلين فعلا في التعليم كلها معايير اذا ما طبقت على أرض الواقع فإنها تساعد على تنمية التعليم وتطويره بشكل يرفع من كفاءته وزيادة شعور السكان بالرضا نحو الخدمات التعليمية المقدمة إليهم.

جدول رقم ( ١ ) المعايير التخطيطية للمدارس الابتدائية المتبعة في العراق والعالم

ت	المعيار	العراق	عالميا
١	تلميذ /مدرسة	٣٧٧	٣٢٠-٢٠٠
٢	تلميذ /شعبة	٣٠	٣٥-٣٠
٣	تلميذ /معلم	٢٠	٢٥-١٧
٤	نصيب التلميذ من مساحة الشعبة م٢	٤-٢	٥ - ١,٢
٥	المدرسة م٢	١٦,٦	٣٥-٢٥
٦	المساحة المبنية (الف م٢)	٢,٥-١,٧٥	١٠-٦
٧	نسبة المساحة المبنية % من مساحة الموقع (مدرسة)	٣٥-٢٦	٢٨,٥-١١,٢
٨	عدد الصفوف	١٢-٦	٣٠-٨
٩	المسافة بين السكن والمدرسة	٥٠٠-٣٠٠	٨٠٠-٤٠٠
١٠	مساحة الموقع (المدرسة) م٢	٦٠٠٠	٧٩٠٠٠-٣١٠٠٠
١١	المدرسة بالنسبة للشارع	فرعي	فرعي

المصدر: من عمل الباحثان بالاعتماد على :

- 1-جمهورية العراق وزارة التربية ، المديرية العامة للتخطيط التربوي ، تقرير خطية التنمية التربوية للأعوام ١٩٩٥-٢٠٠٦ ، ص ١٠٥ .
- 2-خلف حسين علي الدليمي ، تخطيط المجتمعات والبنية التحتية ، اسس معايير - تقنيات ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان ، ط ١ ، ٢٠٠٩ ، ص ٩٢ .
- 3- جمهورية العراق ، وزارة التخطيط ، دائرة التنمية البشرية ، دليل المؤشرات التربوية والتعليمية ، قسم سياسة التربية والتعليم ، ٢٠١٥ ، ص ١٤-٢٨ .

وفيما يخص المناهج التعليمية فيجب اعدادها بشكل يتناسب والتطور العلمي والتكنولوجي وفي الوقت نفسه تناسب ذهنية وقدرة التلميذ أو الطالب على استيعاب هذه المناهج والإفادة منها علمياً وعملياً في كل مرحلة دراسية ، وهنا يجب الفهم ان عملية التعليم وتطورها ليست عملية تلقين العلوم بل هي عملية بناء الانسان عملياً واخلاقياً ، وليكون هذا الدور فعالا على ارض الواقع فنحتاج الى أعداد معلمين ومدرسين أكفيا من الناحية العلمية والثقافية ، فينبغي اصلاح المناهج فيما ينسجم ومتطلبات المرحلة الراهنة وجعلها حرة تتقبل كل ما هو جديد وتتم اعادة النظر فيها كل سنتين أو اكثر ومن قبل لجان متخصصة في كل مجال (خلف ، ٢٠٠٩ ، ص ١٠١). لذلك يفضل إجراء دراسات مسحية لكل مستويات التعلّم لغرض التعرف على اعداد الطلبة في كل مرحلة والتخصصات الموجودة اذ يتم العمل على التركيز على الاختصاصات العلمية والتطبيقية العملية وذلك من اجل اللحاق بركب الدول المتطورة ذات التعليم المستدام .

ومن هنا لا بد من الاشارة إلى ان تجارب الدول المتقدمة في مجال التعليم يمكن نقله اليها لكي نستفيد من خبراتهم وتجاربهم العملية والعملية في هذه المجال فمثلا يمكن نقل تجربة دولة هولندا احدى الدول المهمة بشكل كبير في تنمية وتطور التعليم . إذ يعد نظام التعليم الهولندي من اكثر الانظمة تطورا على مستوى العالم بل يقال ان هولندا رائدة التعليم في العالم، ومن اهم مميزاته الاستقلالية الكاملة التي تتمتع بها كل مدرسة إلى جانب حريتها في اختيار مناهجها ولكن ضمن ما تسمح به قوانين وزارة التربية . وتعدّ هولندا من الدول السبّاقة والرائدة في عملية توظيف التكنولوجيا في جميع مراحل التعليم فيها مما جعلها ان تتحرر من المناهج التقليدية والدور التقليدي للمعلم ، وهذا ما يدعوا له الباحثان في توظيف التقنيات الحديثة في مدارسنا لأنها توفر امكانية تعليم كل تلميذ أو طالب بحسب مستواه الذهني، والتلاميذ أو الطلبة قادرون على التعامل مع هذه التقنيات ولاسيما ونحن نعيش في عالم القرية الصغيرة (عالم الانترنت) والتعامل مع التكنولوجيا في جميع مرافق الحياة، فمن الأفضل الاعتماد على هذه التقنيات بدلا من الاعتماد على معلم الصف فقط إذ يمكن ان توفر الوقت والجهد للمعلم والمتعلم ومن ثم اكتشاف مواهب التلميذ وقدراته ومهاراته وذلك عن طريق المعارف التي يمتلكها من المادة العلمية التي تناسبه

(اسامة ، ٢٠١٦ ، ص ٣٠) كلها عوامل من شأنها ان تسهم على تنمية واستدامة التعليم في العراق .

### نتائج البحث :

١- ان هناك ثمة علاقة بين الجغرافية والتنمية لأن التنمية بأشكالها المختلفة تدخل في صميم عمل الجغرافي، فدراسة الابعاد المكانية يشكل مادة خصبة لمفهوم التنمية، أما الجغرافية بحكم مجال بحثها ونطاق دراستها لها القدرة على معرفة احتياجات الاقاليم والمرتكزات الرئيسية للتنمية ولاسيما التنمية البشرية.

٢- ان تنمية واستدامة التعليم بمراحله المختلفة يرتبط ارتباطا مباشرا بأبحاث الجغرافيين لان هذه الابحاث من شأنها تحديد المشكلات التي تهدد النهوض بالتعليم وتنميته، لذلك تُعد البحوث الجغرافية وما يستعمله الجغرافي من وسائل وادوات له فاعلية في عملية التنمية المستدامة للواقع التعليمي والمساهمة في تحقيق أهدافه.

٣- من أهم الموضوعات التي جذبت أنظار الجغرافيين في الوقت الحاضر هي توزيع مؤسسات التعليم ومستوياتها ومدى كفاءته وتوزيعه وتصنيف مؤسساته الخدمية بل ووضع بعض المعايير (المؤشرات) التخطيطية والمساهمة في تحديد مشكلاته ووضع الحلول المناسبة ومن ثم تطويرها بشكل يمنح المستعمل الشعور بالرضا عن الخدمة المقدمة إليه وهو ما يعرف ب(كفاءة الخدمات التعليمية)

٤- هناك جملة من الدراسات الجغرافية أسهمت بشكل كبير في دراسة تنمية الواقع التعليمي في العراق سواء كانت من ناحية التطور الكمي لمؤسسات التعليم أو التطور النوعي، إلا ان أغلب هذه الدراسات إن لم تكن كلها لا تطبق على أرض الواقع.

٥- إن كثير من الدراسات الجغرافية في العراق عنت في استعمال التقنيات الحديثة والمتاحة من أجل رصانة البحوث والدراسات التي تقدم في سبيل تطوير الخدمات التعليمية المقدمة لسكان تلك المنطقة المدروسة.

٦- هناك مشكلات عدة وتحديات تواجه الواقع التعليمي في العراق منها قلة الأبنية المدرسية وزيادة أعداد الطلبة في الصف الواحد والنقص في الملاكات والمشكلات المتعلقة في الادارة وعدم الاهتمام بالمناهج وصياغتها وغيرها من المشكلات التي تسهم في عدم تنمية التعليم واستدامته.

٧- إن توظف التقنيات الحديثة في مؤسسات التعليم في العراق يمكن أن يكون له دورا كبيرا في تنمية الواقع التعليمي لأنها توفر الوقت والجهد للمعلم والمتعلم .

### التوصيات :

- ١- الاهتمام بالأبنية المدرسة وزيادة عددها على ان تتم بنائها بشكل علمي وضمن المواصفات عالية والحد من ظاهرة الفساد في هذا المجال
- ٢- الارتقاء بالتعليم الحكومي وخلق علاقة تربوية بين الطالب والمعلم والحد من ظاهرة المدارس الاهلية التي باتت مفضله على المدارس الحكومية
- ٣- وضع الخطط الاستيعابية والتخصصية للجامعات والمعاهد والمدارس على ضوء حاجة البلد الفعلية والقضاء على ظاهرة البطالة للخريجين ويجاد فرص عمل لهم
- ٤- توفير الخدمات العامة في المدارس والجامعات لان ذلك يسهم في توفير المناخ الملائم لرفع كفاءة التعليم فيها
- ٥- الاعتناء بالتعليم الابتدائي لان هذه المرحلة تعد القاعدة التعليمية الواسعة لمراحل التعليم اللاحقة فالنهوض به لأعداد جيل متعلم له دوره الحضاري في البناء التعليمي للمجتمع لأن التعليم الابتدائي يمثل اللبنة الاولى في حياه النشأ وكما يهدف إلى تمكين الاطفال من هم في سن (٦-١١) سنة اكتساب ادوات المعرفة الاولى واسس الثقافة والوعي واصول المواطنة السليمة الامر الذي يكشف استعداداتهم وقابلياتهم ومواهبهم لغرض توجيهها بما يناسبها ويكفل تنميتها والانتفاع بها على الصعيدين الشعبي والعام.
- ٦- توظيف التقنيات والتكنولوجيا الحديثة في عملية التعليم والتعليم بما ينسجم مع كل مرحلة من المراحل التعليمية.

### المصادر :

- ١- اسامة امين ، مقالة تحت عنوان (المنهج التقليدي ومهمات المعلم والتلميذ تجربة هولندية رائدة في تطوير التعليم ) في مجلة القايلة العدد ٥ ( مجلد ٦٥ ) ، ٢٠١٦
- ٢- باسمه علوان حسين ، م . م ، فؤاد نوما ، تطور التعليم في العراق ، مجلة دراسات تربوية العدد (٦) نيسان ، ٢٠٠٩ . المحجوب ، عبد المنعم مادة ارانوشنس معجم تانيت ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠١٣ .
- ٣- ثيموني ، ج - نيو باي واخرون ، التقنية التعليمية للتعليم والتعلم ، ترجمة د سارة بنت ابراهيم العريني الرياض دار جامعة الملك سعود للنشر ، ط١ ، ٢٠١٤.
- ٤- حسين عليوي ناصر الزيايدي ، بعض مؤشرات التنمية الصحية في العراق ( دراسة في جغرافية التنمية باستخدام ذات ) مجلة جامعة ذي قار العلمية ، العدد ( ٦ ) المجلد (٢) ٢٠١٠.
- ٥- خلف حسين علي الدليمي ، تخطيط المجتمعات والبنية التحتية ، اسس معايير - تقنيات ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان ، ط١ ، ٢٠٠٩ .
- ٦- رفيق محمد الدياضي ، اقليم بحيرة البرلس دراسة في جغرافية التنمية البشرية ، مجلة الجمعية الجغرافية الكويت ، العدد ( ٣١٠ ) ، ٢٠٠٦ .

- ٧- رياض كاظم الجميلي ، كفاءة التوزيع المكاني للخدمات المجتمعية ( التعليمية والصحية والترفيهية ) لمدينة كربلاء ، اطروحة دكتوراه ( غير منشورة ) ، كلية تربية ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٧ .
- ٨- سمير محمد حسن الرديني ، ت عويد المحمود علي احمد جهينة ، مقدمة في الجغرافية البشرية ، جامعة الخرطوم ، كلية التعليم عن بعد ، ٢٠١٣ .
- ٩- صالح فليح حسن الهيتي ، جغرافية التعليم الابتدائية في العراق ، اطروحة دكتوراه ، ط ١ ، دار السلام ، جامعة بغداد . ١٩٧٧ م .
- ١٠- عبد الحليم البشير الفاروق ، تعليم جغرافية من اصل تنمية مستخدمة قراءة في اعلان لوزيرين ، جامعة ام القرى ، المملكة العربية السعودية ، ٢٠٠٢ .
- ١١- عبد الله بن جمعان الغامدي، التنمية المستدامة بين الحق في استغلال الموارد الطبيعية والمسئولة عن حماية البيئة ، جامعة الملك سعود ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، ٢٠٠٧ .
- ١٢- عبد المنعم المحجوب مادة اراتوشنس معجم تانيت ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠١٣ ، ص ٢٠ .
- ١٣- فؤاد ابن غضبان ، الخدمات الحضرية برؤيا جغرافية معاصرة ، ط ١ ، الدراسات المنهجية ، ٢٠١٥ .
- ١٤- قادري محمد الطاهر ، التنمية المستدامة في البلدان العربية بين النظرية والتطبيق ، مكتبة دار حسن العصرية ، ط ١ ، ٢٠٠١ .
- ١٥- مازن عبد الرحمن الهيتي ، جغرافية الخدمات ، اسس ومفاهيم ، مكتبة المجتمع العربي ، ط ١ ، ٢٠١٢ .
- ١٦- محسن عبد علي ، و رياض كاظم الجميلي ، خدمات المدن - دراسة في الجغرافية التنموية ، كلية التربية ، جامعة بابل ، ط ١ ، ٢٠٠٩ .
- ١٧- محسن عبد علي ، و رياض كاظم سلمان الجميل ، خدمات المدن - دراسة في الجغرافية التنموية ، ط ١ ، ٢٠٠٩ .
- ١٨- محمد ازهر سعيد السماك ، العراق ( ١٩٢١ - ٢٠٢٥ ) خارطة طريق لميلاد عراق جديد ، مطبعة خاني - دهوك ، ٢٠١٥ .

#### التقارير الحكومية

- ١- جمهورية العراق وزارة التربية ، المديرية العامة للتخطيط التربوي ، تقرير خطية التنمية التربوية للأعوام ١٩٩٥-٢٠٠٦ .
- ٢- جمهورية العراق ، وزارة التخطيط ، دائرة التنمية البشرية ، دليل المؤشرات التربوية والتعليمية .
- ٣- تقرير خطة التنمية البشرية للعام ٢٠١٥ - التنمية في كل مكان ، برنامج الامم المتحدة الانتمائي

#### المصادر الاجنبية

- 1- Michael N . Demers , Fundamentals of GIS , and , USA , 2003 .
- 2- Rein fried, S., Schleicher, y. & Rempfler ,A. (Editors)